الدرس البلاغيّ والنقديّ

عند الإمام الأكبر محمد الخضر حسين (رحمه الله)

بين النظرية والتطبيق

إعداد الدكتور

أحمد جابر أحمد جابر

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية البنات الأزهرية بطيبة

جامعة الأزهر

الدرس البلاغيّ والنقديّ عند الإمام الأكبر محمد الخضر حسين -رحمه الله-
بين النظرية والتطبيق

أحمد جابر أحمد جابر

قسم: البلاغة والنقد، كلية البنات الأزهرية بطيبة، جامعة الأزهر، الأقصر، مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedgaber.2080@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى أن يتناول في المبحث الأول الدرس البلاغي عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين -رحمه الله- بين النظرية والتطبيق، كما يتناول هذا البحث في المبحث الثاني الدرس النقدي بشكل مستقلٍّ أيضًا عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين -بين النظرية والتطبيق، ويتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، ومن نتائج البحث أنه يوضح أهمية النقد البلاغي في استنباط الأحكام الشرعية، يهتم البحث بوجوه النقد عند الإمام الخضر، والتي تتناول اللفظ والمعنى معًا حتى تتمَّ الفائدة من النظم، كما يعتني النقد عند الإمام الخضر بسلامة الألفاظ والتراكيب، وموافقتها للمعاني، و يوصي البحث بالاهتمام بالدرس البلاغي والنقدي عند كل مشايخ الأزهر الشريف، وجمعها في كتب مستقلة بحيث يسهل دراستها والتعلم والاستفادة منها.

الكلمات المفتاحية: (الدرس، البلاغي، النقدي، النظرية، التطبيق)

The rhetorical and critical Lesson of the Grand Imam Muhammad Al- Khidr Hussein (May Allah have mercy on him) in between Theory and Application

By: Ahmed Gaber Ahmed Gaber
Department of Rhetoric and Criticism
Faculty of Azhari Women in Taibah
Azhar University, Luxor, Egypt

Abstract

The present research paper demonstrates the rhetorical lesson of the Grand Imam Muhammed Al- Khidr Hussein (May Allah have Mercy on him) in between theory and application in its first part. It also discusses the critical lesson of the Grand Imam Muhammed Al- Khidr Hussein in between theory and application independently in the second part of the paper. The research paper follows the inductive and analytical approaches. The findings of this research paper uncover the importance of rhetorical criticism in deriving Islamic provisions. The research paper is also concerned with the aspects of criticism for Imam Al-Khidr, which deal with both the word and the meaning together so that the benefits of the discipline could be achieved. Criticism for Imam Al-Khidr is keen on acquiring the soundness of the words and structures as well as their agreement with the meanings. Moreover, the research paper recommends paying attention to the rhetorical and critical study of all the sheikhs of Al-Azhar Al-Sharif, and collecting them in independent books so that it is easy to study, learn, and benefit from them.

Key words: lesson, rhetorical, critical, theory, application.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

بسم الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيد ولد آدم سيدنا محمد عليه وآله أتم الصلاة وأزكى التسليم.

يقول الحق تبارك وتعالى: "الرَّحمَن (١) عَلَّمَ القُرآنَ (٢) خَلَقَ الإنسانَ (٤) عَلَّمَهُ البَيانَ (٥)" سورة الرحمن الآيات (١_٥) فاللهم يا مجزل العطاء فقهنا في الدين، وعلمنا التأويل اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، فيا معلم آدم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا، وذكرنا ما علمتنا وقت الحاجة إليه يا رب العالمين.

يتناول هذا البحث بعون الله- تعالى-: (الدرس البلاغيّ والنقديّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-بين النظرية والتطبيق.

ما من شكٍّ في أن الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- عالمٌ مُجدِّدٌ فذٌّ يتسم بالموسوعية؛ فهو الفقيه، والداعيةُ، واللُّغويُّ والبلاغيُّ المفلق، وأحد فرسان ميدان العلم الذين لا يُشقُّ لهُم غُبار، لذا آثرت البحث في هذا الموضوع لعدة أمورٍ هي:

١- إلقاء الضوء على ما تناوله الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- من قضايا بلاغية ونقدية في عدة كتبٍ من مؤلفاته، هي:

أ- بلاغة القرآن.

ب- دراساتٌ في اللغة.

ج- الخيال في الشعر العربيّ ودراسات أدبية.

٢- الاهتمام بالدرس البلاغيّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-.

٣- الاهتمام بالنقد البلاغي عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-.

٤- إبراز السمات البلاغية والنقدية للإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله.

خطة البحث:

وتتكون خطة هذا البحث من: المقدمة، التمهيد، مبحثين: يتناول أولهما: الدرس البلاغيّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-، ويتناول المبحث الثاني: الدرس النقديّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-، ثم الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرس.

صعوبات البحث:

١ـ ندرة الدراسات والبحوث التي تناولت علم البلاغة والنقد عند السادة أئمة الإسلام مشايخ الأزهر الشريف.

٢ـ الدرس البلاغيّ والنقديّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- لا يستقلُّ بهِ أحد مؤلفاته مما دعاني إلى مطالعة اثنين وثلاثين كتاباً من مؤلفات الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- حتى أتمكن من جمع المادة العلمية لهذا البحث.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث المنهج التحليلي القائم على الاستقراء والتحليل.

أهداف البحث:

١ـ استخراج التراث البلاغيّ والنقديّ للإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- من بطون مؤلفاته وجمعها في بحثٍ واحدٍ قدر استطاعتي، وقدر ما وفقني الله إليه.

٢ـ تحليل النكات البلاغية، والقضايا النقدية عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين.

٣ـ إبراز الدرس البلاغيّ والنقديّ عند أحد مشايخ الأزهر الشريف.

الدراسات السابقة:

- بحثُ ترقيةٍ بعنوانِ: بلاغة أساليب الإقناع في مقال "كبر الهمة في العلم" للشيخ محمد الخضر حسين (ت١٣٧٧ هـ -١٩٥٨م) للأستاذة الدكتورة/ رقيه شحاته سليم علي المجلد ٢٨ العدد الرابع_ ديسمبر ٢٠٢٢م _ جامعة الأزهر_ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج.
- بحثُ ترقيةٍ بعنوانِ: بلاغة القرآن الكريم وحسن بيانه عند الإمام محمد الخضر حسين"ت١٣٧٧ هـ" في كتابه "بلاغة القرآن" للأستاذة الدكتورة/ سامية محمد محمد علي المجلد ٣٠، العدد١_٢٠٢٤م_ جامعة الأزهر_ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج.

والله ولي التوفيق،،

التمهيـد

يعدُّ البحث في تراث مشـايخ الأزهر الشـريف من المهام العلمية القيَّمة لما لها من أثرٍ في تجديدِ سـيرتهم ومسـيرتهم العلمية، كما تُبرز الاهتمام بتركتهم العلمية الثمينة مما يدعو المختصـين إلى المنافسـة في الإدلاء بدلوهم ليغترفوا من معين هذه الثروة على اختلاف تخصصاتهم، وفي هذا رسالةٌ أيضـًا إلى غير المختصين تنبه إلى أن العلمَ يخلِّدُ أهلهُ دائمـًا.

ـ التعريف بالإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-

" محمد الخضر حُسَين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٨ م)

محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسيّ: عالمٌ إسلاميٌّ أديبٌ باحثٌ، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر.

ولد في نفطة (من بلاد تونس) وانتقل إلى تونس مع أبيه (سـنة ١٣٠٦) وتخرج بجامع الزيتونة، ودرّس فيه، وأنشأ مجلة (السعادة العظمى) سنة ١٣٢١ - ٢٣١٣ هـ، وولي قضاء بنزرت (١٣٢٣ هـ) واستعفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة (سنة ١٣٢٤ هـ) وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة، وزار الجزائر ثلاث مرات، ويقال: أصـله منها، ورحل إلى دمشـق (سـنة ١٣٣٠ هـ) ومنها إلى الآسـتانة، وعاد إلى تونس (١٣٣١ هـ) فكان من أعضـاء (لجنة التاريخ التونسيّ) وانتقل إلى المشـرق فاسـتقر في دمشـق مدرسـًا في المدرسـة السـلطانية قبل الحرب العالمية الأولى، وانتدبته الحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى برلين، مع الشيخ عَبْد العَزِيز جاوِيش وآخرين، فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته، في جريدة (المقتبس) الدمشقية.

ولما احتل الفرنسـيون سـورية انتقل إلى القاهرة (١٩٢٢م)، وعمل مصـححًا في دار الكتب خمس سنواتٍ، وتقدم لامتحان (العالمية) الأزهرية فنال شهادتها، ودرَّسَ في الأزهرِ،

وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها وتحرير مجلتها، وترأس تحرير مجلة (نور الإسلام) الأزهرية، ومجلة (لواء الإسلام) ثم كان من (هيأة كبار العلماء) وعين شيخًا للأزهر (أواخر ١٣٧١ هـ) واستقال (١٣٧٣ هـ)وتوفي بالقاهرة، ودفن بوصية منه في تربة صديقه أحمد تيمور (باشا)، وكان هادئ الطبع وقوراً، خص قسمًا كبيراً من وقته لمقاومة الاستعمار، وانتخب رئيسًا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقية في مصر، وله تآليف، منها (حياة اللغة العربية) و (الخيال في الشعر العربيّ) و (عدد آي القرآن والاختلاف فيه) و (الرمي والنضال) و (المكاييل والموازين)"[١].

معنى الدرس: لكلمة الدرس معانٍ كثيرة تختلف مدلولاتها حسب المقامات والسياقات التي ترد فيها، والذي يناسب هذا البحث ما جاء في لسان العرب:" دَرَسْتُ الْكِتَابَ أَدْرُسُه دَرْسًا أَي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حِفْظُهُ عليَّ، الدُّرْسَةُ الرِّياضَةُ، وَمِنْهُ دَرَسْتُ السورةَ أَي حَفظتها. وَيُقَالُ: سُمِّيَ إِدْرِيس، عليه السلام، لِكَثْرَةِ دِراسَتِه كتابَ الله تَعَالَى، وَاسْمُهُ أَخْنُوخُ. ودَرَسْتُ الصَّعْبَ حَتَّى رُضْتُه"[٢].

ولقد راض العلَّامة الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- علمي البلاغة والنقد وذللهما بالقراءة حتى صارت له فيهما دروس وإسهاماتٌ رائقةٌ تنفع طلاب العلم في كل زمانٍ، وعلى مرِّ العصور.

معنى النظرية: "إِذا قُلْتَ نَظَرْتُ إِليه لَمْ يَكُنْ إِلا بِالْعَيْنِ، وإِذا قُلْتَ نَظَرْتُ فِي الأَمر

(١) الأعلام للزركلي ٦/ ١١٤_ المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) _الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

(٢) لسان العرب٦/ ٧٩_ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)_الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

احْتَمَلَ أَن يَكُونَ تَفَكُّراً فِيهِ وَتَدَبُّرًا بِالْقَلْبِ"[1].

معنى التطبيق:" يُقَالُ طَبَّق السيفُ إِذا أَصاب المَفْصل فأَبان الْعُضْوَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلرَّجُلِ إِذَا أَصاب الْحُجَّةَ: إِنه يُطَبِّقُ الْمَفْصِلَ. أَبو زَيْدٍ: يُقَالُ لِلْبَلِيغِ مِنَ الرِّجَالِ: قَدْ طَبَّقَ الْمَفْصِلَ وردَّ قالَبَ الْكَلَامِ وَوَضَعَ الهِناء مَوَاضِعَ النُّقَب. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنه سأَل أَبا هُرَيْرَةَ عَنِ امرأَة غَيْرِ مَدْخُولٍ بِهَا طُلِّقَتْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: لَا تحلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَبَّقْتَ؛ قَالَ أَبو عُبَيْدٍ: قَوْلُهُ: طَبَّقْتَ أراد أَصبتَ وَجْهَ الفُتْيا، وأَصله إِصابة الْمَفْصِلِ وَهُوَ طَبَقُ العظمينِ أَي مُلْتَقَاهُمَا فَيَفْصِلُ بَيْنَهُمَا، وَلِهَذَا قِيلَ لأَعضاء الشَّاةِ طَوابِقُ، وَاحِدُهَا طابَقٌ، فإِذا فَصَّلها الرَّجُلُ فَلَمْ يُخْطِئِ الْمَفَاصِلَ قِيلَ قَدْ طَبَّقَ"[2].

ولقد طبق الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين ما نظر فيه عقله وقلبه من علوم البلاغة والنقد، وأصاب الحجة، فكان ينظرُ بقلبٍ واعٍ ويكتب ويطبق بلُبٍّ نابغٍ ألمعيّ، وفؤادٍ متقدٍّ بالعِلمِ.

ولقد صرَّحَ العلَّامة العلويّ بالفكر والنظر والتطبيق في مقام كلامه عن علم المعاني قائلاً: "وعلم المعاني هو المعبَّر عنه بعلم البلاغة، وهو أجلّ العلوم الأدبية قدراً ومكانًا وأعلاها منزلةً وأكبرها شأنًا لأنه علم يستولى على استخراج أسرار البلاغة من معادنها، وهذه توجد محاسن النّكت المودعة في أصدافها ومكامنها، وهو الغاية التي ينتهي إليها فكر النُّظَّار، والضَّالة التي يطلبها غاصة البحار"[3] فقد نصَّ العلماء على النظر وما يتبعه من فكرٍ وتدبُّرٍ وتطبيقٍ.

---

(١) لسان العرب ٥/ ٢١٧.

(٢) لسان العرب ١٠/ ٢١٣.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز١/ ١٥_المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥ هـ) _الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ

المبحث الأول

الدرس البلاغيّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/محمد الخضر حسين

في كتاب بلاغة القرآن يورد الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين تعريفات مختصرة للبلاغة والفصاحة حيث قال: "بلاغة القول: أن تكون ألفاظه فصيحةٌ، ونظمه محكمًا، ودلالته على المعنى منتظمة وافية، أمَّا فصاحة ألفاظه، فبأن يسهل جريانها على اللسان، ويخفُّ وقعها على السمع، ويألفها الذوق غيرَ نابٍ عنها، وهي مع ذلك جاريةٌ على ما ينطقُ به العرب، أو يجري على قياس لغتهم"(١)، وهذه التعريفات تمثل الجانب النظري لتعريف البلاغة والفصاحة عند الإمام وعند علماء البلاغةِ جميعهم؛ فقد جاء في الطراز: "الفصاحة في اللغة عبارة عن البيان والظهور، يقال أفصح العجمي إذا خلص كلامه عن اللكنة واللحن...، وفى مصطلح علم البيان خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف والألفاظ جميعًا"(٢)، وقال في تعريف البلاغة: "وسمى الكلام بليغا، لأنه قد بُلِغَ به جميع المحاسن كلها في ألفاظه ومعانيه، وهو في مصطلح النظار من علماء البيان عبارة عن الوصول إلى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة"(٣).

أما الجانب التطبيقيّ عند الإمام/ محمد الخضر حسين في هذا المقام فيتجلى فيما عقده من موازنةٍ بين بلاغة القرآن الكريم، وبلاغة البشر، وأتت هذه الموازنة بعدما تناول الإمام إحكام النظم القرآني، وانتظام الدلالة، وفصاحة مفردات القرآن الكريم، ونفي التشابه

---

(١) بلاغة القرآن ص ٥، تأليف: الإمام الأكبر/محمد الخضر حسين- ط: الأولى: دار النوادر ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز١/ ٥٧.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز١/ ٦٦.

فقال:" وليس في القرآن متشابه على معنى أن في الآيات ما لا يظهر تأويله للناس"[1] ويقصد هنا أن الخفاء أو التعمية ليسا في القرآن الكريم، ثم يصرح بالموازنة التطبيقية قائلاً: "ومن مظاهر بلاغة القرآن: أنه يورد القصة في أوفى درجةٍ من حسنِ البيانِ، ثم يعيدها في سورةٍ أخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتى إذا عقَدتَ موازنةً بين حكايتها هنا، وحكايتها هناك، وجدتَهما في مرتبةٍ واحدةٍ من البلاغةِ، لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال، أمَّا البليغ من البشر، فقد يصوغ إليكَ القصة في عباراتٍ أنيقةٍ، ثم يريد أن يعيدها مرةً أخرى، فإذا هي في درجةٍ من البراعةِ منحطة عن درجتها الأولى"[2]؛ فوجه الجانب التطبيقيّ هنا يكمن في الموازنة بين الفصاحة وما تقتضيه، والبلاغة وما يجب أن يتوفر لها من خلال مُدارسة نصَّين أولهما إلهيّ والآخر بشري، لنجد أن الإمام يبيِّن أن النص البشريّ قاصرٌ في نظمه وفصاحته وبلاغته عن النص القرآني، ومتفاوتٌ بين بعضه البعض لو أعيدت صياغته حتى إذا كان مضمونه واحداً.

ـ في معرض كلام الإمام عن أمثال القرآن الكريم، يورد تعريفًا للمثل عند علماء البلاغة فيقول: "ذهب علماء البيان في تعريف المثل إلى معنى رابعٍ، إذ قالوا في بحث المجاز المركب: "إن المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله، سُميَ مثلاً، وإلا سمي مجازاً مرسلاً، وقالوا: فما لم يكن استعارة، أو لم يفش استعماله، فليس بمثل عندهم، فالمثل إذاً هو: المجاز الذي تكون علاقته المشابهة، ويفشو استعماله"[3]، وتحليل هذا الذي قاله الإمام ما جاء في بغية الإيضاح؛ وهو أن:" المجاز المركب أو التمثيل: وأما

(١) بلاغة القرآن ص٨٩.

(٢) بلاغة القرآن ص١٠.

(٣) بلاغة القرآن ص٣٢.

المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه؛ أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه. كما كتب به الوليد بن يزيد -لما بويع- إلى مروان بن محمداً وقد بلغه أنه متوقف في البَيعةِ له: "أما بعداً فإني أراك تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام" شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى، وكما يقال لمن يعمل في غير مَعْمَل: "أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء" والمعنى: إنك في فعلك كمن يفعل ذلك، وكما يقال لمن يُعمِل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه: ما زال يفتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد، والمعنى: أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقًا يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه، ويفتل الشَّعْر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس"(١).

ويأتي بعد الجانب النظري للمجاز المركب وأمثلته عند علماء البيان الجانب التطبيقيّ للإمام حيث قال موازنًا: "وإنما قلنا: إن ما ذهب إليه البيانيون معنى رابع للمثل، وليس هو المعنى الذي يريده المؤلفون في أمثال العرب، ذلك أن المؤلفين في الأمثال لا يقصرون المثل على ما يكون استعماله من قبيل الاستعارة؛ نحو قولك للمتردد في فِعل أمرٍ: "مالي أراكَ تقدِّمُ رِجلاً وتؤخر أُخرى؟"، وقولك لمن ترك شيئًا عند سنوح الفرصةِ لإدراكهِ، ثم قام يسعى إليهِ بعد فوات الفرصة: "الصيف ضيعت اللبن" بل يطلقون المثل على كلامٍ شائعٍ؛ لحُسنهِ،

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٢/ ٥١٤، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١ هـ) ، الناشر: مكتبة الآداب_ الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

أو لاشتمالهِ على حكمةٍ بالغةٍ، فيتناول كلاماً يكون استعماله في مضربهِ على وجه الاستعارة، وما يكون استعماله على وجه الحقيقة؛ نحو: "السعيد من اتعظ بغيره" وما يكون استعماله على وجه التشبيه الصريح؛ نحو قولك: "يخاف شرَّهُ ويشتهي قُربَهُ"؛ كالخمر يشتهي شربها، ويخشى صداعها.

فتخلص لنا مما سبق: أن للمثل معنى في أصل اللغة هو: الشبيه والمثل، ومعنى هو: القول السائر، ومعنى هو: الوصف الغريب، أو القصة الغريبة، ومعنى هو: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة، ويفشو استعماله"(١).

فهنا يظهر الدرس التطبيقي للإمام في المثل من خلال إيراد أنواعه التي من بينها المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة، ويفشو استعماله، وليس قصر المثل في المجاز المركب الذي علاقته المشابهة، ويفشو استعماله فقط؛ لذلك يقول الإمام الخضر-رحمه الله-: "فضرب المثل في القرآن قد يُستعمل في تمثيل حالةٍ غربيةٍ بأُخرى مثلها، وقد يُستعمل في ذكر حالةٍ غربيةٍ تُقصَدُ لنفسها، ولا يُرادُ تمثيلها بنظيرةٍ لها"(٢).

ويستمر الإمام في تجلية الدرس التطبيقيّ لفوائد ضرب المثل؛ فيقول-رحمه الله-: "يُضرب المثل لتقرير حال الممثَّلِ في النفسِ؛ حيث يكون الممثَّلُ بهِ أوضح من الممثَّلِ، أو يكون للنفسِ سابقةُ أُلفةٍ واستئناسٍ بهِ، كما ضرب الله مثلاً لحال المنفق رياءً، حيث لا يحصُل من إنفاقهِ على شيء من الثواب، فقال تعالى: "فمثلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ عليهِ تُرابٌ فَأصابَهُ وَابلٌ فَتَرَكَهُ صَلدَاً لَا يَقدِرُونَ عَلَى شيء ممَّا كَسَبُوا"[البقرة:٢٦٤]...

ويُضرَبُ المثلُ للترغيبِ في الممثَّلِ؛ حيث يكون الممثَّل به مما تستحسنهُ النفوس،

(١) بلاغة القرآن ص٣٣.

(٢) بلاغة القرآن ص٣٧١.

وترغب فيه؛ كما ضرب الله مثلاً لحال المنفق في سبيل الله؛ حيث يعود عليه الإنفاق بخيرٍ كثيرٍ، فقال تعالى:" مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ والله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[البقرة:٢٦١].

ويُضرَب المثل للتنفير؛ حيث يكون الممثَّل مما تكرههُ النفوس، وتنفرُ منهُ؛ كما ضرب الله مثلاً لحال المُغتاب، فقال تعالى:" وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ"[الحجرات:١٢]...

ويضرب المثل لمدح الممثَّل؛ حيث يكون في الممثَّلِ بهِ صفاتٌ تستحسنها النفوس، وتمدح مَن يحرز مثلها؛ كما ضرب الله مثلاً لحال الصحابةِ-رضى الله عنهم-، فقال تعالى:" ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ"[الفتح:٢٩]...

ويُضرب المثل للذم؛ حيث يكون للممثَّلِ به صفةٌ يستقبحها الناس ويذمون مَن رضي لنفسهِ بمثلها؛ كما ضربَ الله مثلاً لحال من آتاهُ الله كتابهُ، فنكثَ يدهُ من العملِ بهِ، وانحطَّ في أهوائهِ، فقال تعالى:" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا"[الأعراف:١٧٥_١٧٦]... ويُضرب المثل في مقام الاحتجاج؛ حيث يلزم من تسليم الممثَّل بهِ، وإدراك أن الممثَّل مطابقٌ لهُ، الرجوع إلى الاعتقاد بالحق؛ كما ضرب الله مثلاً للدلالةِ على أنه الإله الحقُّ، وأن الأوثانَ لا تستحقُ أن تُعبدَ، فقال تعالى:" ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ"[النحل:٧٥]...ومن له مُسكة من العقلِ لا يتولى العاجزَ بالعبادةِ، ويدَعُ عبادة

القادر على كل شئ"[1]، فيتضح الجانب التطبيقيّ لضرب المثل بما ذكره الإمام-رحمه الله- من فوائد كثيرةٍ لضرب المثل.

ـ تناول الإمام الخضر حسين-رحمه الله- المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية؛ وقبل أن يعمد إلى الجانب النظريّ بذكر تعريفهما عند علماء البيان واللغة، قال: "وأراني في موقف الباحث الذي يسوق حديثه إلى أدباء درسوا فن البيان، وكانوا منه على بينةٍ، فلا أطيل في تعريف المجاز وذكر أقسامه..."[2] ليذكر بعد هذا التعريفات، ويتناول العلاقة بشكلٍ خاص فيقول: "تتبع علماء البيان الكلام العربيّ؛ ليتعرفوا وجوه العلاقات التي يراعيها العرب في نقل اللفظ إلى غير معناه على سبيل المجاز، فألمُّوا بها خُبراً، وأحصوها عدَّاً، واختلفوا بعد هذا الاستقراء والضبط في موقف المولدين إزاء هذه العلاقات، فبعضهم ضيَّقَ عليهم الدائرة، وبالغ في تضييقها، فلم يُبح -ولو عند تحقق العلاقة- إجراء أي لفظٍ شاؤوا مجرى المجاز، وجعل حظهم من هذا الفن البديع لا يزيد على استعمال الألفاظ التي نطق بها العرب من قبل؛ كالأسد للرجل الشجاع، واليد للنعمة... وهذا المذهب ساقطٌ بنفسهِ، ولا أظنك تجد له نظيراً بين علماء لغةٍ يجري في عروقها دم الحياة"[3] يتضح من كلام الإمام الخضر أنه يجيز المجاز عند المولدين متى قامت العلاقة بين المعنيين الحقيقيّ والمجازيّ، وينقض التضييق المطلق ويعتبر هذا التضييق مذهبًا ساقطًا بنفسهِ وليست له قائمةٌ حتى يحتاج إلى مَن يُسقطهُ، وبعد ذلك يأتي الجانب التطبيقيّ للمجاز والتصرف في الألفاظ متى

(١) بلاغة القرآن ص ٣٩_٤١.

٢) دراسات في اللغة ص٥_ تأليف: الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين_ طبعة: دار النوادر_ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ_٢٠١٠م.

(٣) دراسات في اللغة ص٧_٣.

قامت العلاقة؛ فقال: "وجمهور العلماء على أن مدار صحة المجاز على تحقق ما كان يراعيه العرب من نوع العلاقات، فلا نقف عند حد الألفاظ التي استعملوها في غير ما وضعت له؛ كالأسد والقمر والغيث، فإذا رأيناهم قد نقلوا اسم شيء إلى آخر لعلاقة السببية-مثلاً-جرينا على إثرهم، وساغ لنا أن نتصرف في الألفاظ تصرفهم...فنطلق لفظ "الاستقلال" على راحة البال وهناءة العيش، ونسمي الكتب: خِزانة، ونستعمل الرعد في أصوات المدافع، وإن لم يذهب العرب بلفظ الاستقلال والخزانة والرعد هذا المذهب من المجاز"[١] فالإمام بهذا يقر صحة المجاز متى قامت العلاقة؛ لذلك قال: "وتحقيق البحث: أننا نكتفي في صحة المجاز بمراعاة نوع العلاقة، وللبيانيين في كل علاقةٍ نظرٌ خاص...لا يكتفون في إطلاق الجزء على الكل بعلاقة الجزئية، حتى يكون للجزء اختصاصٌ بالمعنى الذي يقصد من الكل؛ نحو: "عين" يستعمل في "الجاسوس" لأن للعين مزيد اختصاص بحرفة التجسس، وللذوق السليم بعد هذا التحقيق مدخلٌ في الحكم على بعض الاستعمال المجازي، بالرد أو القبول"[٢] إذن نبَّه الإمام إلى قيام العلاقة، وإلى تحكيم الذوق السليم في إقرار ما يستجد من مجازٍ أو نقلٍ من عدمهِ.

ـ وللإمام الخضر-رحمه الله- في هذا المقام ضوابطٌ ألخصها فيما يأتي:

١ـ أن النقل يصدق على ما يسمى عند البيانيين: "المجاز الراجح"[٣] وهو أن يغلب على الأذهان المعنى المجازيّ للفظ عند إطلاقه أو تجرده من القرينة، ويصدق على الألفاظ الموضوعة لمعنى كلي يتناول جزئيات متعددة، ثم يغلب استعماله في جزئي خاص يتبادر

(١) دراسات في اللغة ص٨.

(٢) دراسات في اللغة ص١٠.

(٣) دراساتٌ في اللغة ص١١.

إليه الذهن عند إطلاقه[١].

٢ـ "شرَطَ المناسبة في النقل"[٢] بين معنى اللفظ المنقول وما نُقلَ إليهِ.

٣ـ المجاز والنقل لا يوقع في تكثير الألفاظ متى روعيت مواطن الاستخدام والمقامات[٣].

٤ـ عدم إطلاق العنان للمجاز والنقل مع إهمال الألفاظ المبسوطة في كتب اللغة دون استخدامٍ لها؛ قال الإمام: " فيمكننا أن نرجع إلى هذه الألفاظ المهجورة، وننتقي منها ما يسد الحاجة، ويصلح لأن يكون غذاءً للغةٍ حيةٍ راقيةٍ، مؤثرين له على الأسماء الأجنبية"[٤].

٥ـ تجنُّب الالتباس بسبب النقل يتحقق عن طريق تعليم النشء، وتأليف المعاجم[٥].

(١) دراسات في اللغة ص١٢ بتصرف.

(٢) دراسات في اللغة ص١٤.

(٣) دراسات في اللغة ص١٥ـ١٤, ١٦.

(٤) دراسات في اللغة ص١٦.

(٥) دراسات في اللغة ص١٧ بتصرف.

المبحث الثاني

الدرس النقديّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/محمد الخضر حسين

في كتاب بلاغة القرآن ينقد الإمام الأكبر/ محمد الخضر رأيَ مَن زعم أن صيغ الأمر المنزلة في الحدود تُحمل على الإباحة لا على الوجوب؛ فقال الإمام: "اطلعت على مقالٍ نشره بعض الكاتبين في العدد السادس من "جريدة السياسة الأسبوعية" تحت عنوان: "التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلاميّ"...ثم تحدث الكاتب عن الحدود، مدعيًا أن الأمر الذي سيثيره قد يصل فيه إلى إعادة النظر في النصوص التي وردت فيها لبحثها من جديد، وقال: "سأقتصر الآن على ذكر ما ورد في تلك الحدود من النصوص القرآنية، وذلك قوله تعالى في حد السرقة: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٩)"[المائدة:٣٨_٣٩] وقوله تعالى في حدِّ الزنا:" الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" [النور:٢]، وقال: فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حدِّ السرقة، وهو قوله تعالى: "فَاقْطَعُوا"، والأمر الوارد في حدِّ الزنا، وهو قوله تعالى: "فَاجْلِدُوا"، فنجعل كلاً منهما للإباحةِ، لا للوجوب، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى: " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)"[الأعراف:٣١]، فلا يكون القطع في السرقة حداً مفروضًا..."[(١)]

ـ نَقد الإمامُ هذا الرأي فقال:" فنحن إذ نقدنا هذا الذي يقوله الكاتب، فإنما ننقدُ رأيًا كان يُخفيه إلى حين، وإن كساه-في آخر المقال- ثوب المسائل التي يطرحها خالي الذهن...من

(١) بلاغة القرآن ص١٣٦.

مقاصد الشريعة الغراء حماية الأنفس، والأموال، والأعراض، والأنساب، فعمدت إلى ما يكون الاعتداء به على هذه الحقوق أكثر وأشد ضرراً، فشرعت عقوبة معينة، وفوَّضت ما عدا ذلك إلى ولي الأمر ليجتهد فيه رأيه"[1]، هنا يبيِّن الإمام مواطن الخضوع لأحكام التشريع، ومواطن الاجتهاد، ويؤكد على أن الأوامر في آيات الحدود لا تخرج إلى معاني مجازية؛ فقال: "هذه الآيات غير قابلة لذلك التأويل الذي لا يملك أحد تغييره"[2]، ويسوق الإمام الدليل النصيّ على هذا الوجوب فيقول: " الأمر في قوله: "فَاقْطَعُوا"، وقوله: "فَاجْلِدُوا" واردٌ في الوجوب القاطع...وبناء الأمر يصرفه عن احتمال الإباحة إلى الوجوب"[3] وبعد يذكر الإمام دلالة الاتصال المفيدة لهذا الوجوب؛ فيقول: "ثم إن اتصال آية السرقة بقوله تعالى: " جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ" صريحٌ في الدلالة على أن الأمر بالقطع للوجوب...، وفي صفة الحدِّ بأنه "نكال من الله" إيذانٌ بأن مَن وقفَ في سبيل إنفاذِه، فقد حارب الله، ومن رأى أن غيره من العقوبات أحفظ للمصلحة، فقد زعمَ أن علمه فوق علم الله"[4]، وبهذا يكون الإمام قد بيَّن عن طريق النقد أن أفعال الأمر المنزلة في الحدود للوجوب لا الإباحة بالدليل البلاغيّ، والنقليّ، والعقليّ، وينقد الإمام مفهوم ذلك الكاتب في التخيير ويوضح أنه جاهلٌ به؛ فيبين الإمام طريقة القرآن في التخيير فيقول: "وطريقته في التخيير أن يذكر الأنواع المخير بينها؛ كقوله تعالى في كفارة اليمين: " فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"[المائدة:٨٩]، وقوله في عقوبة

(١) بلاغة القرآن ص١٣٧.

(٢) السابق ص١٣٨.

(٣) السابق ص١٣٨.

(٤) السابق ص١٣٨.

البغاة: " إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ"[المائدة:٣٣]"[١] فهذا هو التخيير الذي يأتي بذكر متعدد على سبيل التيسير في اختيار الأنسب، وهذا خلاف أفعال الأمر المنزلة في الحدود إذ تدل بلفظها ومقامها وسياقها على معانيها الحقيقيّة بغير تأويل.

ـ في كتاب الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية، يسوق الإمام وجوه النقد؛ فيذكر الجهات التي يُرمَى إليها بسهام النقد، فيقول: "يتوجه النقد إلى ناحية اللفظ تارةً، وإلى ناحية المعنى تارةً أخرى"[٢]، ثم يبين الإمام أن النقد يتجه للفظ المفرد، ويتجه للتركيب والجملة؛ فيقول: "ونقد اللفظ إما أن يعود إلى اللفظ المفرد، وإما أن يعود إلى التركيب"[٣]

ويذكر الإمام أمثلةً تطبيقيةً لنقد اللفظ المفرد، ومنها بسبب استعماله في غير معنى صحيح؛ فيقول: "كما عابوا قول المتنبي:

ومِن نكدِ الدنيَا على الحرِّ أن يرى عدوًّاً له ما من صداقته بُدُّ

فإن الصداقة المحالة وهي إصفاء المودة، والإنسان لا يضطر إلى أن يصادق عدوه، أو يمحض له المودة، وإنما يضطره الحال إلى مداراته، وذلك ما يعنيه الشاعر، ومقتضى هذا المعنى أن يقول: "ما مِن مُداراته بدٌّ"[٤] لنلحظ في نقد الإمام أن المعنى يجب أن يكتسي اللفظ الذي يناسبه، فالصداقة مشتقةٌ من الصدق، لذا ما قاله الشاعر يخالف هذا الصدق إلى

(١) بلاغة القرآن ص١٤٠.

(٢) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١٠٥-تأليف: الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين- الطبعة الأولى: دار النوادر١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.

(٣) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١٠٦

(٤) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١٠٦.

النفاق بإظهار الصداقة والمودة، وإخفاء العداوة في الباطن، أما المداراة فليست كذلك إذ تحفظ لكلٍّ موقفه مع أخذ الحيطة والحذر بالأقوال والأفعال حتى لا يُثار صدر العدو.

ـ وأوردُ للعلَّامة أبي الحسَن الواحديّ توجيهٌ رائقٌ يفيد بأن الملابسة هي التي سوغت إطلاق الصداقة فيما قاله المتنبي؛ حيث قال العلَّامةُ الواحديّ ـرحمه اللهـ: "النَّكدُ قلَّة الخير يقول: ومن قلة خيرها إن الحُرَّ يحتاج فيها إلى إظهار صداقة عدوه ليأمن شره، وهو يعلم أنه له عدو ثم لا يجد بُدَّاً من أن يرى الصداقة من نفسه دفعا لغائلته، وأراد ما من مداجاته بد، ولكنه سمى المداجاة صداقةً لما كانت في صورة الصداقة ولما كان الناس يحسبونه صداقة، ويجوز أن يريد ما من إظهار صداقته فحذف المضاف"[1]

ـثم يذكر الإمام النقد العائد إلى التركيب فيقول: "ومن مآخذ المركب: خروجه عن قانون علم البلاغة، فيجئ غير مطابق لمقتضى المقام؛ ومن أمثلة هذا العيب: أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجةً، فلم يقضها، ثم بعث إليه شفيعًا، فقضاها له، فقال:

ذُممتَ فلم تُحمد وأدركتُ حاجةً ... تولَّى سواكم أجرهَا واصطناعها

أبى لك كسب الحمدِ رأيٌ مقصرٌ ... وَنَفسٌ أضَاقَ اللهُ بالخيرِ باعهَا

إذا هي حثَّتهُ على الخيرِ مرةً ... عَصاها وإن همَّت بشرٍّ أطاعهَا[2]

وموضع العيب في رأي علماء البلاغة هذا البيت الثالث، فقد جاء على خلاف ما يقررونه من أنَّ (إذا) تستعمل فيما يكثر وقوعه، و(إن) تُستعمل فيما لا يقعُ إلا نادراً، ومقام الهجاء يقتضي أن نفس ذلك الوالي تحثه على الخير قليلاً، وأنها تهمُّ بالشرِّ كثيراً، وهذا

(١) شرح ديوان المتنبي ص١٥٠ـ المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ـطبعة دار الرائد العربي ـلبنانـ ١٩٩٩م.

(٢) العقد الفريد ٧/ ٢١٤ـالمؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨ هـ) ـالناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ

يقتضي أن يأتي في جانب الحثِّ على الخير بـــ(إن)، وفي جانب الشرِّ بـــ(إذا)، ولكن الشاعر جرى على عكس القاعدة"[١].

ولقد تناول الإمام/ محمد الخضـر ـرحمه اللهـ بالنقد عدم الاتسـاق، وغياب التناسـق عن التركيب، ومنافاة الذوق السـليم؛ فقال: "ومن مآخذ التركيب عدم اتسـاق كلماته، فلا تقع كل كلمةٍ منه موقعها اللائق بها، وينتج عن هذا أن الذهن يقف في فهم البيت، فلا يصـل إلى المراد منه إلا بعد ترديد النظر وإمعانه، ومن أمثلته قول البحتري:

فتىً لَم يَمـلْ بـالنَّفسِ مِنـهُ عَن العُلا إلى غَيرهـا شـيءٌ سـواهُ مُميلهَـا[٢]

وإذا اسـتطاع بعض أنصـار البحتري أن يخلص البيت من اللحن بوسـيلة التأويل، فإنه لا يستطيع أن يحميه مما يعيبه بالتعسف والتعقيد.

ومن معايب التركيب: أن ينبو عنه الذوق السليم، ويكون وقعه على اللسان ثقيلاً، ووقع في هذا العيب قول كشاجم:

حَـدائـقُ كَـفٍّ كُـلِّ ريـحٍ حَلَّ بـهَـا خَـيـطُ كُـلِّ قـطـرِ[٣]

قال ابن الأثير: هذا البيت يحتاجُ الناطق به إلى بركان يضـعه في شـدقه حتى يديره له"[٤] ـ وفيما يتعلق بالنقد المعنوي، قال الإمام/ محمد الخضـر: "يدخل العيب على المعنى من جهة: الجمع بين أشـياء غير متناسـبة، وكثيراً ما يقع في هذا العيب مَن يقصـد إلى النوع

(١) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١١٠.

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ١/ ٤٠٣ـالمؤلف: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقرـ الناشر: دار المعارف – ١٩٩٤م.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/ ٢٩٠ـالمؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧ هـــ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميدـ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت– ١٤٢٠ هـ.

(٤) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١١٠.

المسمى بالمطابقةِ، ومما ذهب بعض النقاد إلى أن الشاعر جمع فيه بين شيئين غير متناسبين: بيت المتنبي:

أزُورهُم وسَوادُ اللَّيل يَشفعُ لي وأنثَنِي وبياضُ الصُّبح يُغرِى بِي[1]

فقد روي أن المعتمد بن عباد تباحث مع جلسائه في هذا البيت، وقال: ما قصَّر في مقابلة كل لفظةٍ بضدها، إلا أن فيه نقداً خفيًا، وهو أن الليل إنما يطابق بالنهار، ولا يطابق بالصبح الذي هو جزء من النهار، ومراد المعتمد القدح في المطابقة بين الليل والصبح، وإن كان لذكر الصبح وجهٌ وهو أن المحب ينصرف من الزيارة عند انفجار الصبح خيفة الرقباء"[2]، وهذا ما أتى في نفح الطيب: " وتباحث المعتمد مرةً مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم أنه أمير شعره:

أزُورهُم وسَوادُ اللَّيل يَشفعُ لي وأنثَنِي وبياضُ الصُّبح يُغرِى بِي

فقال: ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدها إلا أن فيه نقداً خفيًا، ففكروا فيه، فلما فكروا وقالوا له: ما وقفنا على شيء، فقال: الليل لا يطابق إلا بالنهار لأن الليل كلي والصبح جزئي، فتعجب الحاضرون، وأثنوا على تدقيق انتقاده"[3]، وأوردُ للعلَّامة ابن سنان الخفاجيّ التوجيه البلاغيّ لهذا الطباق حيث قال: "فهذا البيت مع بُعده من التكلف كل لفظة من

(١) شرح ديوان المتنبي ١/ ١٦١، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦ هـ)، المحقق: مصطفى السقا/ إبراهيم الإبياري/ عبد الحفيظ شلبي ـالناشر: دار المعرفة - بيروت-١٩٩٢م.

(٢) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١١١.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب٤/ ٢٦١_ المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١ هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان١٩٩٧م.

ألفاظه مقابلة بلفظة هي لها من طريق المعنى بمنزلة الضد: فأزورهم وأنثني وسواد وبياض والليل والصبح ويشفع ويغرى ولي وبي، وأصحاب صناعة الشعر لا يجعلون الليل والصبح ضدين بل يجعلون ضد الليل النهار؛ لأنهم يراعون في المضادة استعمال الألفاظ وأكثر ما يقال الليل والنهار ولا يقال الليل والصبح، وبعضهم يقول في مثل هذا: مطابق محض ومطابق غير محض فالليل والصبح عنده من بيت المتنبي طباق غير محض"[١]

ـ ومن العيوب المعنوية للشعر التي أوردها الإمام الخضر، "بعدُهُ عن الواقع إلى حدّ أن يدفعه الواقع لأول نظرةٍ، دون أن يعرض على السامع صورةً بديعةً من صنع الخيال، قال أبو بردةَ الثقفيّ: أدركت الناس وهم يزعمون أن أكذب بيتٍ قالته العرب قول أعشى ميمون:

لو أسنَدتَ ميتًا إلى نحرهَا عَاشَ ولَمْ يُنقَل إلى قَابرِ"[٢]

والبيت الذي يليه يقول:

حَتَّى يَقُولَ النّاس ممّا رَأَوْا يَا عَجَبًا للمَيِّتِ الناشرِ[٣]

فما من شكٍّ أن الناشر هو الله-ﷻ- وحده لا شريك له، وكل زعمٍ يتطاول على ما اختص بهِ الله-تعالى- وحده يدفعه الواقع، والعقل السليم، وكلُّ ذي لُبٍّ صحيحٍ.

(١) سر الفصاحة ص٢٠١_المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦ هـ) _الناشر: دار الكتب العلمية_ الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ_١٩٨٢م.

(٢) الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص١١٣.

(٣) ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص٢٦_ الناشر مكتبة الآداب٢٠١٢م.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد، فلقد سار بنا الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله- في رياض البلاغة والنقد، ولم يكتف الإمام-رحمه الله- بذكر القواعد والتعريفات البلاغية والنقدية بل يتمم الفائدة بذكر الشواهد، والتعليل، والتحليل والتطبيق حتى تؤتي دروسه البلاغية والنقدية ثمارها المرجوة، لذلك من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

١ـ أن الدرس البلاغيّ والدرس النقديّ كلاهما قائم على الاستقراء والتحليل عند العلَّامة الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين-رحمه الله-.

٢ـ يورد الإمام الخضر الموازنة كبرهانٍ على ما جاءت به القاعدة البلاغية.

٣ـ لم يتوقف الإمام عند التسليم بما أورده العلماء السابقون من تقسيمات بل يناقشها ويضيف إليها.

٤ـ يجيز الإمام التجديد في أمثلة المجاز والنقل بشرط توفر قيام العلاقة، وأن يقر هذا المجاز أو النقل الذوق السليم.

٥ـ رفض الإمام الخضر التأويل في آيات الحدود أو حمل أوامرها على المعاني المجازية، مما يعدُّ درسًا بلاغيًّا في الشريعة الإسلامية وأحكامها.

٦ـ ذكر الإمام الخضر أن النقد يتجه إلى اللفظ وإلى المعنى، وفي هذا تأكيدٌ على ما أتى به العلماء السابقون بأن الألفاظ أجسادٌ أرواحها المعاني.

توصيات البحث:

١- الاهتمام بالتراث البلاغي والنقدي لمشايخ الأزهر الشريف.

٢- جمع وإحصاء الدروس البلاغية والنقدية من تراث مشايخ الأزهر في كتبٍ مستقلةٍ حتى

يسهل على طلاب العلم والباحثين دارستها، والتعلم والاستفادة منها.

٣-إبراز الإسهامات البلاغية والنقدية لمشايخ الأزهر التي لها دورٌ في تجلية القواعد الأصولية، والأحكام الشرعية، إلى جانب ما اشتملت عليه من فنونٍ بلاغيةٍ، وقضايا نقدية.

وختامًا:

أتمثل بقول العماد الأصفهانيّ في كتابه الموسوم بمحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء:" رأيت إنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، إن الكمال لله وحده، وحسب المرء أن يكون صادقا فيما يعمل وفي هذا كلُّ الرضى والعزاء، لأن العطاء مشفوعا بالطموح إلى الأفضل، أجدى من النكوص مع التزمُّت، وهذا هو معيار الارتقاء الحقيقيّ، ولله الحمد وعليه التَّكلان"[١]، فاللهم اجعل هذا البحث المتواضع من البحوث التي تعدُّ خدمةً لتراث أهل العلم- واجعله خالصًا لوجهك الكريم، واحتسبه عملاً صالحًا، وعلمًا ينتفع بهِ في المحيا وبعد الممات يا عليكم يا حكيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...وصلِّ اللهمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآلهِ وصحبه.

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء١/ ١٢_المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (المتوفى: ٥٠٢ هـ) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الأعلام للزركلي ـ المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين_ الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة_ المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١ هـ) الناشر: مكتبة الآداب_ الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.
- بلاغة القرآن _تأليف: الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين- ط: الأولى: دار النوادر١٤٣١ هـ_٢٠١٠م.
- الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية -تأليف: الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين - الطبعة الأولى: دار النوادر١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.
- دراسات في اللغة _ تأليف: الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين_ طبعة: دار النوادر _ الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ_٢٠١٠م.
- ديوان الأعشى ميمون بن قيس _ الناشر مكتبة الآداب٢٠١٢م.
- سر الفصاحة _المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦ هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية_ الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ_١٩٨٢م.
- شرح ديوان المتنبي _ المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) _طبعة دار الرائد العربي _لبنان_ ١٩٩٩م.

- شرح ديوان المتنبي _المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦ هـ)، المحقق: مصطفى السقا/ إبراهيم الإبياري/ عبد الحفيظ شلبي _الناشر: دار المعرفة – بيروت_١٩٩٢م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز _المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥ هـ) _الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ.
- العقد الفريد _المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨ هـ) _الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت_ الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ.
- لسان العرب_ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ) _الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء _المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانيّ (المتوفى: ٥٠٢ هـ) _الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر _المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد – الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت–١٤٢٠ هـ.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ـ المؤلف: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ المجلد الأول والثاني: تحقيق/ السيد أحمد صقر ـ الناشر: دار المعارف - ١٩٩٤م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ـ المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١ هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان١٩٩٧م.

References:

The Holy Quran.

Al-Alam by Al-Zirakli _ Author: Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, Al-Zirakli Al-Dimashqi) Died: 1396 AH)_Publisher: Dar al-Ilm Lil-Millain_ Edition: Fifteenth - May 2002 AD.

In order to clarify and summarize the key in the sciences of rhetoric - Author: Abdel Mutal Al-Saidi)Died: 1391 AH) Publisher: Library of Arts_ Edition: Seventeenth: 1426 AH - 2005 AD.

The Eloquence of the Qur'an _ Written by: The Grand Imam/Muhammad Al-Khidr Hussein - First Edition: Dar Al-Nawader 1431 AH _ 2010 AD.

Imagination in Arabic Poetry and Literary Studies - Written by: Al-Imam Al-Akbar / Muhammad Al-Khidr Hussein _ First edition: Dar Al-Nawader 1431 AH - 2010 AD.

Studies in Language - Written by: Al-Imam Al-Akbar / Muhammad Al-Khidr Hussein - Edition: Dar Al-Nawader _ First edition 1431 AH _ 2010 AD.

Diwan Al-A'sha, Maimoun bin Qais, published by the Library of Arts, 2012 AD.

The Secret of Eloquence - Author: Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Saeed bin Sinan Al-Khafaji Al-Halabi (deceased: 466 AH) - Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - First Edition: 1402 AH - 1982 AD.

Explanation of the Diwan of Al-Mutanabbi - Author: Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi,
Al-Naysaburi, Al-Shafi'i (deceased: 468 AH) _ Edition by Dar Al-Raed Al-Arabi _ Lebanon _ 1999 AD.

Explanation of the Diwan of Al-Mutanabbi - Author: Abu Al-Baqa Abdullah bin Al-Hussein bin Abdullah Al-Akbari Al-Baghdadi Mohib Al-Din (deceased: 616 AH)_Investigator: Mustafa Al-Saqqa / Ibrahim Al-Ebiary / Abdel Hafeez Shalabi _Publisher: Dar Al-Ma'rifa - Beirut_1992 AD.

Al-Taraz for the secrets of eloquence and the sciences of miraculous facts - Author: Yahya bin Hamza bin Ali bin Ibrahim ,Al-Husseini Al-Alawi Al-Talibi, nicknamed Al-Mu'ayyad Billah (died: 745 AH)_Publisher: Al-Maqtabah Al-Raqi'iyya Beirut Edition: First 1423 AH.

The Unique Contract _Author: Abu Omar, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad bin Abd Rabbo, known as Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi (deceased: 328 AH) - Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Edition: First 1404 AH.

Lisan Al-Arab - Author: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ruwaifi'i Al-Ifriqi (deceased: 711 AH) _Publisher: Dar Sader - Beirut Edition: Third - 1414 AH.

.

Lectures by writers and dialogues by poets and rhetoricians - Author: Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad Al-Ma'rouf By Al-Raghib Al-Isfahani (died: 502 AH)_Publisher: Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company – Beirut Edition: First 1420 AH.

The prevailing proverb in the literature of the writer and poet - Author: Nasrallah bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim Al-Shaybani, Al-Jazari, Abu Al-Fath, Diya Al-Din, known as Ibn Al-Atheer Al-Katib (deceased: 637 AH) Editor: Muhammad Mohieddin Abdel Hamid_Publisher: Modern Library for Printing and Publishing - Beirut - 1420 AH.

The balance between the poetry of Abu Tammam and Al-Buhturi - Author: Abu Al-Qasim Al-Hasan bin Bishr Al-Amdi (d. 370 AH) Volume One and Two: Edited by Mr. Ahmed Saqr - Publisher: Dar Al-Maaref - 1994 AD.

The perfume smelled from the moist branch of Andalusia, and its minister, Lisan al-Din bin al-Khatib, mentioned it Author: Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Muqri al-Tilmisani (died: 1041 AH) Investigator: Ihsan Abbas Publisher: Dar Sader - Beirut - Lebanon 1997 AD.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ٦١

المقدمـــة ٦٣

التمهيـد ٦٦

المبحث الأول: الدرس البلاغيّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين ٦٩

المبحث الثاني: الدرس النقديّ بشقيه النظريّ والتطبيقيّ عند الإمام الأكبر/ محمد الخضر حسين ٧٧

الخاتمـة ٨٤

قائمة المصادر والمراجع ٨٦

فهرس موضوعات البحث ٩١